الأثر الاقتصادى لحجاج غرب أفريقيا فى منطقة الجزيرة بالسودان(١٩٢٥-١٩٦٦)

د بدوي رياض عبد السميع
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الدراسات الأفريقية العليا
جامعة القاهرة

مقدمة:

عرفت الشعوب المختلفة التحركات البشرية من أجل الحج من غابر الأزمنة وحتى الوقت الراهن، وشهدت المدن المقدسة والأماكن ذات الطبيعة الدينية لمختلف الأديان تحركات بشرية وتنقلات واسعة لأصحاب هذه الديانات لزيارتها والإرتحال إليها، وربما الاستقرار فيها. وقد شكّل الحج عنصرًا مهمًا من عناصر الحركة للشعوب الاسلامية من أقصى غرب أفريقيا غربًا وحتى حدود الصين شرقًا، وهو أكثر التحركات السكانية البارزة فى الشرق الأوسط؛ ليس فقط لحجمه بل أيضا لديمومته.

ولما كان الحج أحد أركان الاسلام الذى يجب أن يقوم به المسلم مرة على الأقل فى عمره ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فقد كان عاملاً أساسيًا ومهمًا أدى إلى وجود عدد كبير من أهالى غرب أفريقيا فى السودان. ولما كانت الرحلة البرية إلى مكة المكرمة تستغرق بضع سنوات، وكان غالبية المهاجرين إلى الحج من أصل ريفى، وكانوا يمتهنون الزراعة، ولما كان معظم المغادرين يصطحبون معهم عائلاتهم، فقد استقر جزء كبير من هؤلاء فى السودان مفضلًا عدم العودة إلى غرب أفريقيا. وقد عمل الكثير من هؤلاء فى الزراعة، وخاصة فى **مناطق زراعة القطن فى مشروع الجزيرة** فى السودان.

وتأتى أهمية الموضوع من أنه طبقًا لأول إحصاء سودانى للسكان عام ١٩٥٥-١٩٥٦، وُصف أكثر من ٦٠٠ ألف نسمة من السكان، البالغ عددهم عندئذ ١٠,٢٥ مليون نسمة، أنهم من أصول ترجع إلى غرب أفريقيا، معظمهم من نيجيريا وتشاد. ويبدأ البحث بعام **١٩٢٥**، حيث بدأ مشروع قطن الجزيرة فى العمل بعد بناء سد سنّار فى ذلك العام، الأمر الذى ترتب عليه اجتذاب عددًا كبيرًا من العمالة الأفريقية من داخل السودان وخارجه، وبالتالى وجد فيه حجاج

غرب أفريقيا فرصة كبيرة للعمل من ناحية، وأداء فريضة الحج من ناحية أخرى. أما عام **١٩٦٦** فيحدد نهاية البحث، حيث تم بناء سد الروصيرص الأمر الذى ترتب عليه توسع مساحة المشروع وحاجته إلى مزيد من العمالة. وعلى الرغم أن الفترة الزمنية تميل إلى أن تكون أكثر التصاقًا بمشروع الجزيرة منها بحجاج غرب أفريقيا، إلا أن الأثر الاقتصادى لهم كان أكثر ظهورًا خلال هذه الفترة.

وبالتالى يحاول هذا البحث الوقوف على **الأثر الاقتصادى الذى أحدثته رحلة الحج البرية من غرب أفريقيا إلى مكة المكرمة على منطقة الجزيرة بالسودان،** من خلال المحاور التالية:

أولاً- الصلات التاريخية بين السودان وغرب أفريقيا.

ثانيًا- أثر الحج فى هجرة أهالى غرب أفريقيا إلى السودان.

ثالثًا- استيطان الغربيين فى منطقة الجزيرة.

رابعًا- الأهمية الاقتصادية للغربيين فى مشروع الجزيرة.

خامسًا- توزيع الغربيين فى الجزيرة.

أولاً- الصلات التاريخية بين السودان وغرب أفريقيا:

ارتبط السودان بغرب أفريقيا ارتباطًا وثيقًا، وهناك بعض الأدلة على الاتصال المبكر عن طريق الهجرات بين السودان والدول التى تقعُ غربَه؛ إذ لم تنقطع حركة الناس والأفكار على طول طريق السافانا العشبى الممتد من السنغال إلى إثيوبيا منذ آلاف السنين. ويبدو أن فكرة الزراعة على المطر قد انتقلت إلى السودان من الغرب عن طريق المزارعين المهاجرين ربما فى حدود سنة ٢٠٠٠ ق.م.، وربما حدث تدفق رئيس من الناس بشكل أكبر من الغرب بعد عام ١٣٤٠م[١]. وقد جمع أركل Arkell أدلة عن علاقة قديمة ووثيقة بين مملكة كانم Kanem وسلطنة بَرْنُو[٢] Bornu اللتان قامتا حول بحيرة تشاد وبين السودان الشرقى (سودان وادى النيل) حيث نهر النيل[٣]، مشيرًا إلى أنه بحدود حوالى القرن الثالث عشر تمددت مملكة الكانم إلى النيل فى المنطقة المعروفة الآن "بوادى حلفا" Wadi Halfa[٤].

خريطة (١)

موقع الكانم والبرنو بالنسبة لطرق الحج إلى مكة المكرمة

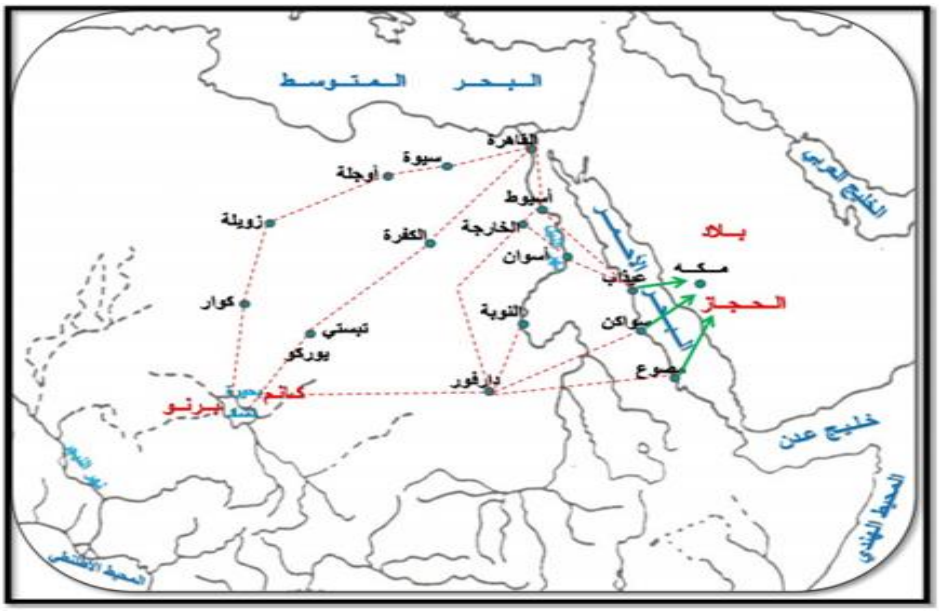

المصدر: انتصار جابر يونس: مرجع سابق، ص ١٧٠.

كما يُحتمل أن الفونج Fung الذين أسقطوا مملكة علوة المسيحية حوالى سنة ١٥٠٥ قد جاءوا من البَرْنُو شمال شرق نيجيريا، ربما كفرع من البيت الحاكم الذى هاجر شرقًا نتيجة للاضطرابات السياسية(٥). والاسلام بكل احتمال وصل دارفور من الغرب، والبلد الأقرب الذى يمكن أن يكون قد وصل منها هى البَرْنُو. وهناك دليل قوى أن دارفور بالإضافة إلى ودّاى(٦) Wadai كانت فى فترة غير بعيدة تابعة لسلطان البَرْنُو(٧).

وقد تزامن تأسيس مملكة الفونج فى سنّار Sennar مع دخول الاسلام، والتزم رمز الاسلام فى السودان بصلات وثيقة مع غرب أفريقيا أكثر من النيل السفلى. وقد حصل المهدى أيضًا، لاحقًا، على قدر كبير من الدعم والتعاطف والأفكار من اتصالاته بالأراضى الواقعة غرب السودان(٨)، والتحق بعض الحجاج الأفارقة بالحركة المهدية، لينالوا بركات المهدى وخليفته(٩).

وقد كانت سلطنات سودان وادى النيل معبرًا رئيسيًا لطريق الحجيج المسلمين الذى يبدأ من أقصى الغرب فى موريتانيا والسنغال، كما كانت منطقة جاذبة لكثير من سكان غرب أفريقيا(١٠).

وهكذا يتضح لنا أن الصلات بين السودان وغرب أفريقيا لم تنقطع عبر التاريخ، وأن هناك عوامل دفعت أهالى غرب أفريقيا إلى الاتجاه شرقًا، كان من بينها الحج، وهو ما نعرض له فى المبحث التالى.

ثانيًا- أثر الحج فى هجرة أهالى غرب أفريقيا إلى السودان:

للحج من غرب أفريقيا إلى مكة المكرمة تاريخ طويل حدده بيركس Birks بالقرن الرابع عشر الميلادى؛ حيث كان الحجاج قليلى العدد، وأغنياء فى الغالب، ومن الطبقات الحاكمة للإمارات والسلطنات الإسلامية لمنطقة السفانا(١١). غير أن

الصواب ربما يكون قد جَانبَ بيركس فيما ذهب إليه؛ إذ حرص أهالى غرب أفريقيا على الحج إلى مكة المكرمة، وتعود أولى الرحلات الحجية التى أوردتها المصادر إلى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى، كما كان ركب الحج السوداني كبيرًا جدًا ولم يكن يقتصر لا على الأغنياء فقط، ولا على الطبقات الحاكمة دون غيرها، بل كان يضم كافة طبقات وشرائح المجتمع، حتى الرقيق الذين أصبحوا من السلع المهمة فى التجارة عبر الصحراء كانوا يمثلون جانبًا كبيرًا من ركب الحج لاستخدامهم كعملة، بالإضافة إلى استخدامات أخرى(١٢).

وقد سافر هؤلاء الحجاج إلى مكة المكرمة عن طريق اجتياز الصحراء إلى شمال أفريقيا. وكان توجيه الطرق شمالاً عبر الصحراء سمة لحج أهالى غرب أفريقيا حتى مطلع القرن العشرين، عندما أجبرت الهجمات الاستعمارية على شمال أفريقيا إلى تغيير رحلة الحج شرقًا مباشرة نحو النيل، على طول الطريق المعروف آنذاك عبر السفانا لما أصبح الكاميرون، وتشاد، والسودان(١٣). هذا الطريق الجديد المرتبط بالاختراق الأوروبى لأفريقيا لم يُخفّض حركة الحجاج، بل زادت أعدادهم عدة أضعاف؛ بين عامى ١٩٠٥-١٩٠٩ زاد رحيل المسلمين شرقًا أكثر من ١٠ آلاف سنويًا. كانت هذه الحركة واسعة النطاق للناس هى التى أشاعت الحج على طول طريق السفانا، والتى بدأت التقليد الموجود فى غرب أفريقيا لفترة طويلة(١٤).

وتعتبر الطرق البرية إلى مكة المكرمة، وخصوصًا تلك المارة عبر أفريقيا، أطول من تلك التى تؤدى إلى مراكز الحج الأخرى، ولعبت دورًا كبيرًا فى الانتشار الثقافى والازدهار الاقتصادى والتفاعل الاجتماعى(١٥).

وقد ظل السودان يُشكّل مهجرًا للمسلمين من غرب أفريقيا لفترة طويلة من الزمن، لجملة أسباب أهمها موقع السودان على طريق الحج. فقد شكّل موقع

السودان على ساحل البحر الأحمر وقريبًا من شبه الجزيرة العربية وامتداده إلى داخل القارة الأفريقية طريقًا مهمًا للحجاج المسافرين بريًا إلى مكة المكرمة من غرب أفريقيا. وقد اشتهر عن حجاج غرب أفريقيا أن معظمهم إنما يأتى إلى الحج راجلاً(١٦)، ولذلك فإن مسيرة الحاج ليقطع أرض السودان بهذه الطريقة قد تكلفه عدة سنوات يتعرض فيها لظروف الحياة العادية من مرض وموت وفقر وجوع وغيرها. ولذلك فإن عددًا من هؤلاء قد يقيم به إقامة دائمة قبل أن يدرك الحج، وقد تكون إقامته الدائمة بعد الحج وهو فى طريق العودة إلى بلاده(١٧). وبالتالى بقى الكثيرون منهم لفترات ممتدة، واستقر آخرون بشكل دائم فى السودان(١٨).

وربما كان حجاج غرب أفريقيا بسبب فقرهم يتبعون أرخص سبل المواصلات وأشقها وهو المشى على الأقدام، وطبيعى أنهم كانوا يحتاجون إلى فترات راحة، وأحيانا كانت تطول هذه الفترة وتستمر الإقامة لسنوات إلى أجل غير مسمى(١٩). وبالتالى كان الحج إلى مكة عاملاً رئيسًا أدى إلى وجود عدد كبير من أهالى غرب أفريقيا فى السودان. ويخبرنا بوركهارت Burkhardt، الذى زار شمالى السودان فى بداية القرن التاسع عشر، أن بعض الحجاج سلك الطريق المباشر شرقًا بسبب الظروف غير المستقرة، بينما اختار أغلب الحجاج، سيما الأغنياء، طريق درب الأربعين الأكثر صعوبة عبر الصحراء من دارفور إلى مصر(٢٠). وربما قصد بوركهارت مدينة قوص؛ فهي الأقرب إلى عيذاب، ميناء الحجيج الأول آنذاك، كما أن طريق درب الأربعين يذهب بهم بعيدًا عن مقصدهم حيث يصل إلى أسيوط، إن أن تكون وجهتهم ومقصدهم هو الانضمام إلى ركب الحج المصرى.

وهكذا لم يميل العديد من حجاج غرب أفريقيا الذين نجحوا فى الوصول إلى مكة إلى العودة، بينما تخلى آخرون فى الطريق واستقروا فى السودان. ويُحتمل

أن يكون هناك عدد من المستوطنين من غرب أفريقيا من هذا النوع تعود إلى عهد الفونج. ذلك أن بيرا Bara، الواقعة عند النهاية الجنوبية لطريق القافلة للنيل، فيها حيّ صغير من غرب أفريقيا يقال إنه يعود إلى تلك الفترة. وعلى أية حال، كان هناك قلة من أفارقة غرب أفريقيا استقروا فى السودان فى وقت قيام الحكم الثنائى الإنجليزي–المصري عام ١٨٩٩، وأول رقم شامل كان ١٢ ألف فى عام ١٩١٢، لكن هذا الرقم بلاشك أقل من التقدير(٢١).

وقد كانت هجرات الغربيين(٢٢) للحج تستغرق ما يزيد على العشر سنوات ذهابًا وإيابًا، وكانت هناك قلة من الحجاج الفقراء يلحقون بقوافل الأغنياء، ولكن غالبيتهم كانوا يرحلون معتمدين على أنفسهم ويسعون لرزقهم أثناء الطريق بالمشاركة فى الأعمال التى يصادفونها سواء كانت زراعة أم رعيًا غالبًا فى السودان، ليحصل على المال اللازم قبل عبوره البحر الأحمر إلى الديار المقدسة، ثم بعد عودته من مكة لتأمين رحلة العودة إلى غربى أفريقيا(٢٣). ولم ينتج عن ذلك عمليات استقرار كبيرة قبل القرن العشرين بسبب انتشار الأمراض وعدم استقرار الأمن. ولذلك لم تظهر عمليات الاستقرار التى قام بها الغربيون واضحةً إلا فى أوائل القرن العشرين، ولا سيما بعد عام ١٩٢٠، حينما بدأت المشروعات الزراعية وخاصة مشروع الجزيرة، الذى أصبح من أكبر مناطق جذب العمال فى السودان من داخله وخارجه(٢٤).

وقد بدأ حجم الحجاج من بلدان غرب أفريقيا فى الزيادة أواخر العشرينيات من القرن الماضى، وشكّل ٢٢% من العدد الإجمالى للحجاج فى عام ١٩٢٩. وكان حجاج غرب أفريقيا يتحركون من السنغال وغينيا وسيراليون وليبريا باتجاه الشرق إلى كانو Kano فى نيجيريا وإلى تشاد. ومن تشاد واصل الحجاج سفرتهم باتجاه الشرق حتى النيل أو أحد روافده، عندئذ مر الحجاج عبر السودان وإرتيريا أو الحبشة والصومال إلى ساحل البحر الأحمر، حيث كانوا يعبرون البحر إلى

الحجاز أو عسير أو اليمن اعتمادًا على اتجاه الرياح[٢٥]، على نحو ما توضحه الخريطة التالية.

خريطة (٢)

طرق بعض المجموعات الرعوية من غرب أفريقيا إلى مكة المكرمة

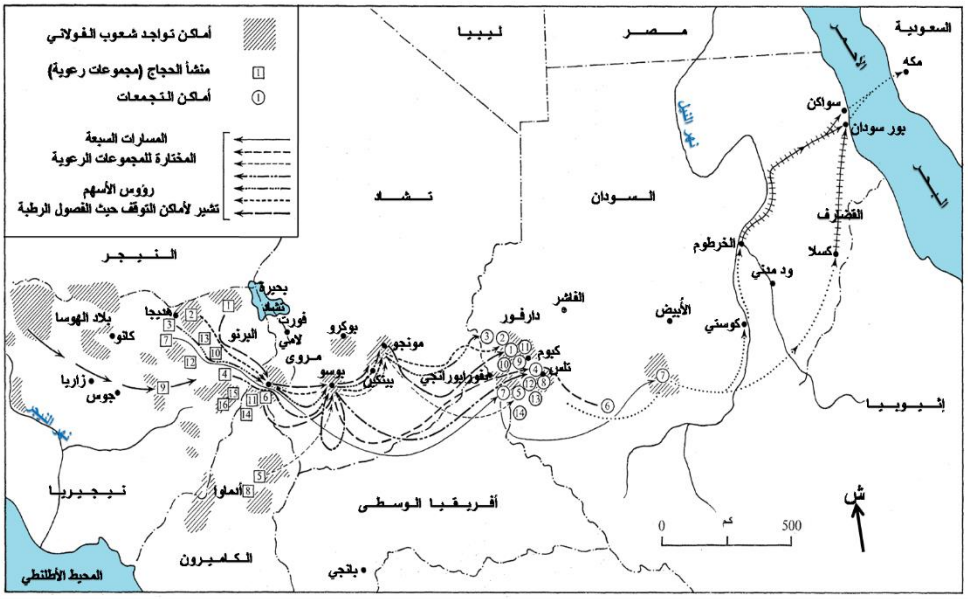

المصدر:

Birks, J. S.: The Mecca Pilgrimage by West African Pastoral Nomads, the Journal of Modern African Studies, Vol. 15, No. 1, (Mar., 1977), p. 52.

ويُضاف إلى العامل الدينى المتمثل فى الحج إلى بيت الله الحرام فى مكة المكرمة وأثره فى هجرة أهالى غرب أفريقيا واستقرار جزء منهم فى السودان، عامل آخر مرتبط به وهو **العامل الاقتصادى**. فالعلاقة الوثيقة بين هذين الدافعين تعتبر علاقة طبيعية. فمعظم المهاجرين كانوا فقراء، وبالتالى عندما قرروا الذهاب إلى الحج أدركوا كمية المال الهائلة المطلوبة لتغطية نفقاتهم طوال رحلتهم الطويلة، وهنا يأتى العنصر الاقتصادى. ويبدو أنهم فضلوا جمع المال الضرورى فى

طريقهم، لأنهم عبروا قارتهم إلى آسيا مما كسر رتابة السفر، وساعد الحاج على تكريس أى فائض فى دخله لمهمته المقدسة بدلاً من الراحة والترف(٢٦).

وبالتالى كان بعضًا من الغربيين وهم فى المرور بين أوطانهم فى غرب أفريقيا ومكة المكرمة، يستخدمون العمل فى مشروع الجزيرة للحصول على المال اللازم للسفر(٢٧). كما جذبَ آخرين، والكثير منهم فى طريق الحج، فرصُ العملِ بالأجر والأرض الفارغة الصالحة للزراعة خصوصًا قرب القضارف(٢٨).

وقد أشار أحد الباحثين إلى أن الاستغلال المتزايد لطبقة الفلاحين خلال الفترة الاستعمارية، كان القاعدة وراء القرار الأَولىّ للحج والهجرة فى النهاية بأعداد كبيرة للهوسا من نيجيريا إلى السودان، وربما كانت مغادرة نيجيريا أقوى من الوصول إلى مكة(٢٩). وأشار آخر إلى أن بريطانيا، لضمان إمداد وفير من العمالة الموسمية لمشروع الجزيرة، شجعت استيطان أعداد كبيرة من مهاجرى غرب أفريقيا المسلمين فى منطقة الجزيرة للإمداد بالعمالة الزراعية(٣٠).

أضف إلى ذلك، أن من العناصر الغربية وغالبيتها فقيرة من استهواها البقاء فى السودان والعمل فى المشروعات الزراعية وتناسى الغرض الأصلى وهو الحج، أو طاب له العيش كما أسلفنا بعد العودة من الحج فاستقر فى السودان، خاصة وقد وجدوا من السلطات الحاكمة كل تشجيع. وكان فى قيام هذه المشروعات فى السودان وحسن المعاملة التى وجدها المهاجرون ما أغرى فريقًا آخرَ فهاجر إلى السودان بغية العمل وجمع المال، ومن هؤلاء من استقر نهائيًا فى السودان فلم يعود إلى موطنه الأصلى(٣١).

وقد ساعدت الظروف الجغرافية على هذه الحركة، ففى نفس العروض نجد المطر فى الغرب أغزر منه فى الشرق، وتزداد فصليته كلما اتجهنا غربًا، كما أن الأمطار أكثر تبكيرًا فى غرب الإقليم السودانى. وقد أدى تركز المطر فى فترة أقصر إلى تعريض التربة للتعرية فى الغرب بصورة أعظم منها فى الشرق، مما

عرّض السكان للمجاعات فى الغرب أكثر من الشرق. وبالتالى كان من الطبيعى انحدار السكان من الغرب إلى الشرق(٣٢).

فقد جُذب الغربيون إلى الأجزاء غير المشغولة نسبيًا من نطاق السفانا فى السودان، ومدى التنمية الاقتصادية للبلاد، خصوصًا زيادة إنتاج القطن مع الحاجة المصاحبة للعمالة. وبالنسبة للنيجيريين، كان الحج أكثر جاذبية مع إمكانية تحسين ظروفهم المادية. أما بالنسبة للكثير من التشاديين، كانت الظروف الاقتصادية الجيدة هى الجاذبية الحقيقية، ورغم ذلك شكّل الحجُ عاملًا مفيدًا فى أغلب الأحيان(٣٣). وإذا رسمنا رسمًا بيانيًا لتصوير قوة الدافع الدينى، يصبح فى المقدمة مع شمال نيجيريا وفى مرتبة تالية مع دارفور فى الجانب الآخر. خط الرسم البيانى يفترض خلاصة مقعرة لدرجة كبيرة بينما يهبط بحدة فى الربع الأول الذى يمثل نيجيريا وجوارها مباشرة، وينحدر بلطف نحو الصغر أو قريب جدًا منه فى القطاع السودانى(٣٤).

وإذا كان **الحج** هو الدافع الوحيد لهجرة النيجيريين، فإن المهاجرين من المناطق الاستوائية الفرنسية وإلى درجة أقل السودانيون الغربيون، كانوا مسرورين بعمل ذلك، وإن كانت نسبة صغيرة من عددهم هى التى تزور مكة حقيقةً. وهناك ظاهرة أخرى ربما تُذكر كدليل على قوة الترتيب والتحفيز الدينى بين النيجيريين مقارنة بالآخرين، هو أن كل الذكور النيجيريين المتزوجين كانوا يجلبون عوائلهم معهم. قد يكون هذا بسبب الوقت الأطول الذى كان يستغرقه النيجيرى أثناء الرحلة، لكنه بلا شك يتوافق مع مبادئه الأخلاقية الدينية الرفيعة(٣٥).

وبالتالى يمكن القول إن الحركة الطبيعية عبر حزام السهل العشبى (السفانا) المجاور للصحراء الكبرى، المعتمد على المناخ، والمطر، والحافز إلى التوسع إلى الأراضى الزراعية الجديدة، أصبح مرتبط بالحافز الدينى فى الحج إلى مكة المكرمة. ومنذ نهاية القرن التاسع عشر، سمحت الظروف السلمية والإلغاء

التدريجى للعبودية بالمرور إلى مكة عبر السودان، وكان لابد للحاج من دَخْلْ لرحلته إلى مكة، فاستخدم إنتاج المحصول النقدى وعمل الأجر للحصول عليه(٣٦).

وتشير بعض التفسيرات المتعلقة باستقرار الغربيين فى السودان إلى قلة المال، وضعف الحصول على وثائق السفر لعبور البحر الأحمر إلى السعودية، والمسئولية العائلية أو الدخول فى شبكة من العلاقات المتبادلة مع المسلمين الآخرين. مثل هذه العوامل منعت الحجاج من التحرك بحرية من مكان لآخر عندما استقروا لبعض الوقت فى السودان، وأصبحو مؤَسسين كأعضاء لمجتمع الحج المحلى(٣٧).

ومن الواضح من التقديرات المختلفة للسكان الغربيين فى الأجزاء المختلفة من البلاد أن أعدادهم قد تضاعفت بشكل كبير من العشرينيات إلى مطلع خمسينيات القرن الماضى. فقد تضاعفت أعدادُ النيجيريين والمناطق الاستوائية الفرنسية فى كسلا من ٢٥٠٠ نسمة سنة ١٩٢٤ إلى ما بين ٧-١٠ آلاف نسمة سنة ١٩٣٤. وفى الجزيرة من ٤-١٠ آلاف نسمة إلى ٦٥ ألف سنة ١٩٥٠. ولاشك أن الهجرة الأخيرة قد تحسنت كثيرًا بافتتاح المشروعات الزراعية المختلفة وانفتاح العديد من المناطق للزراعة، والتى كانت مُعطلة فى الماضى أو استُعملت فقط للنشاط البدوى. وقد تطلب هذا التطور السريع فى الاقتصاد الزراعى للسودان عددًا كبيرًا من العمالة، حيث فشل السكان المحليون أو لم يُقنعوا بتقديمها بسرعة كافية. وقد جعلت تقارير هذه المتطلبات لانتظار "الثروة والحج" من السهل السفر السريع عبر القارة إلى الشرق والاستجابة على شكل فيضان متزايد من المهاجرين. فقد تدفق عشرات الآلاف إما كمستوطنين ومستفيدون دائمون من الأرض، أو كعمالة متجولة تكسب قوتها بالعمل فى هذه المنطقة فى فصل واحد من السنة، حسب قانون العرض والطلب(٣٨).

وقد ظهر من أرقام التعداد الأول فى السودان أن أهالى غرب أفريقيا مثلوا أعلى نسبة من الأجانب فى السودان، حيث قدّرهم الإحصاء بأكثر من نصف مليون نسمة (٦٦٣,٠٠٠) منهم ١٦٥,٠٠٠ أجانب صرف، ٤٢,٠٠٠ سُجلوا كسودانيين لكن من أصل أجنبى، ٤٥٦,٠٠٠ يدعون الجنسية السودانية دون إثبات. وأكثر المديريات من حيث عدد الأجانب هى مديريات نطاق السفانا؛ حيث إن هذا النطاق هو أكثر النطاقات عمرانًا وأكثرها غنى فضلاً عن أن معظم المهاجرين من غرب أفريقيا(٣٩).

على أية حال، يمكن القول إن تقليد الهجرة وُجد دائمًا بين القبائل المتعددة والممتدة إلى الغرب قبل الاحتلال الأوروبى. لقد زاد حزام الهجرة دائمًا، بسبب تدفق الاسلام، وطريق الحج البرى الطبيعى الممتد من غرب أفريقيا الاسلامية إلى الأماكن المقدسة(٤٠).

ثالثًا- استيطان الغربيين فى منطقة الجزيرة:

لما كان معظم المغادرين إلى رحلة الحج يصطحبون معهم عائلاتهم، فقد استقر جزء كبير من هؤلاء فى السودان مفضلاً عدم العودة إلى غربى أفريقيا. وقد انتشر هؤلاء فى السودان فى المناطق المماثلة لمناطقهم الأصلية فى أوطانهم. وقد ساعد على استقرار هؤلاء فى منطقة السفانا السودانية، وجود مناطق الانتاج الزراعى، خاصة مناطق زراعة القطن فى مشروع الجزيرة أو زراعة الحبوب فى القضارف، حيث عمل هؤلاء عمالاً موسميين أو دائمين فى هذه المشاريع الزراعية(٤١).

وبالتالى استقبل إقليم الجزيرة تدفقه من المهاجرين بشكل كلى تقريبًا بعد افتتاح المشروع للتنمية الزراعية. وما عدا بعض القرى فى أقصى الجنوب، لم يكن هناك استقرار للغربيين فى المنطقة. وقد أُسس هؤلاء جزئيًا من قبل السودانيين الغربيين فى ظل المهدية، وجزئيًا من قبل النيجيريين لقربهم من طريق الحج. وبنفس

الطريقة أسس النيجيريون عددًا صغيرًا من المستوطنات النهرية شبه الدائمة على طول ضفاف النيل الأزرق التى يمكن أن تعتبر بالنسبة لكل المقاصد والأغراض جزءًا من استيطانهم الرئيسى (منطقة الفونج) فى الجنوب والجنوب الشرقى(٤٢).

ومع بداية المشروع حدث تدفق كبير؛ حيث كانت العمالة مطلوبة للنشاطات المختلفة مع افتتاح المشروع. وفى هذا الصدد يُقال أنه عند قيام المشروع "كان عدد السكان كثيف إلى حد لا بأس به فى شرق وسط الجزيرة، ويُعتقد أنه كان كافيًا للمشروع إلى حد كبير، مع الاعتراف بأن هذا العامل قد يحدد الامتدادات اللاحقة". وفى كل الأحوال، حتى فى المرحلة التجريبية (مع مضخة الرى)، بدأ الغربيون فى الهجرة والاستقرار فى الجزيرة عمومًا فى أعداد متزايدة على نحو ثابت. فكل امتداد للمنطقة المروية جلب معه موجه من المهاجرين والمستوطنين الغربيين(٤٣). ولسوء الحظ لا توجد أرقام شاملة تساعد على تتبع التدفق الغربى من بداية المشروع من حيث الأعداد والحقائق. ولعل التقديرات التالية الموجودة فى التقارير الرسمية قد تعطى فكرة عن سرعة التسلل الغربى، وقد لا تكون بعيدة عن الحقيقة على نحو ما يوضحه الجدول

جدول (١)

تطور أعداد الغربيين فى منطقة الجزيرة بالسودان(١٩١٩-١٩٤٦)

السنة	عدد السكان الغربيين
١٩١٩	٣٠٠ نسمة
١٩٢٤	٤٠٠٠ نسمة
١٩٢٩	١٥,٠٠٠ (منهم ٩ آلاف عمالة متجولة)
١٩٣٦	٢٨٢٥٧ (منهم ٢٠ ألف عمالة متجولة)
١٩٤٦	٥٥٢٦٨ (منهم ٣٧ ألف عمالة متجولة)

بيانات الجدول نقلاً عن: Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 84.

يُلاحظ من الجدول السابق تطور أعداد الغربيين مع افتتاح مشروع الجزيرة عام ١٩٢٥ من أربعة آلاف نسمة إلى خمسة عشر ألف نسمة، أى ما يقرُب من ثلاثة أضعاف العدد فى خمس سنوات، ثم إلى ما يقرب من الضعفين فى غضون ثمانى سنوات ليصل إلى ثمانية وعشرين ألفًا ومائتان وسبعة وخمسون فردًا، ثم إلى ضعف العدد فى الفترة من عام ١٩٣٦ إلى عام ١٩٤٦.

وبحلول عام ١٩٢٩ وُجد الغربيون بالأساس جنوب بركات Barakat، خصوصًا فى الحوش Hosh والحاج عبد الله Hag Abdullah. ومن الجدير بالملاحظة أن يعلن تقرير أن الغربيين من المناطق الاستوائية الفرنسية من غير المحتمل أن يكونوا موجودين فى الجزيرة قبل المشروع، حيث ظهروا يحملون نسبة كبيرة من الايجارات أعلى من النيجيريين. وطبقًا للبيانات التى نقلها إسلام أحمد حسون عن تقرير كراوفورد Crawford عام ١٩٢٩، كان هناك حوالى ٥٣٧٤ مستوطن، و١٦٤٣٠ غير مستقر فى الجزيرة، على النحو التالى:

جدول (٢)

	مستوطن	غير مستوطن
النيجيريون	٤٤٦٧	١١٥٧
المناطق الاستوائية الفرنسية Borgu	٧٦٢	٧٠١٤
آخرون (السودانيون الغربيون)	١٤٥	٨٢٥٩
اجمالى	٥٣٧٤	١٦٤٣٠
اجمالى المستوطنين وغير المستوطنين	٢١٨٠٤	

بيانات الجدول نقلاً عن: Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 85.

وقد أشار التقرير إلى أن غير المستقرين "الآخرين Others" أقل من ١٠٠٠، جاءوا من السودان الفرنسى، وحوالى ٤٠٠٠ من كردفان ودارفور. ومع ذلك كان

التعارض هو السمة الرئيسية لهذه الاحصاءات عندما تتعلق بنسبة "المستقرين" إلى "غير المستقرين"، والاجمالى قد يكون أقرب إلى الحقيقة. هذا التعارض ربما يُدحض إذا عرفنا أن البورجو Borgu "يُعتقد عمومًا أنهم لا يأتون بنسائهم ولا يجدون قرى"(٤٤). وبالتالى استمر التسلل والاستيطان الغربى فى السودان عموماً وفى منطقة الجزيرة على وجه الخصوص. وقد مثّل غربيو الجزيرة صنفين هما: العمال Labourers والمستأجرون Tenants أو ملاك الأراضى Landholders. والجدول التالى يبين عدد الغربيين فى الجزيرة ونسبتهم حسب النوع فى مطلع الستينيات(٤٥):

جدول (٣)

عدد الغربيين فى الجزيرة ونسبتهم حسب النوع فى مطلع الستينيات

م	نوع الغربى	العدد	% من إجمالى سكان الجزيرة	% من إجمالى سكان السودان
١	قبائل غربى دارفور	١٠٧٥٣	%١١	%١,١٦
٢	قبائل أفريقيا الاستوائية الفرنسية	١٤٤٣٣	%١٤,٨٠	%١٥,١٠
٣	قبائل نيجيرية	٣١٠٦٢	%٣١,٩٠	%١٠,٣٧
٤	مجموعة غير معروفة من الغربيين	٢٠٥٧٤	%٢١,١٠	%٣٤,١٠
٥	سودانيون من أصول غربية	١٣٠٨	%١,٣٤	%٣,٤٧
٦	غربيون بهوية غير سودانية	١٨٥١٣	%١٩	%١١,٨٥
٧	الكونغو البلجيكى	٥٥٨	%٠,٥٧	%٨٦,٢٥
	المجموع	٩٧٢٠١	%١٠٠	%٦,١٦

المصدر: McLoughlin, Peter F. M.: the Sudan's Gezira Scheme, Op. Cit., p. 186.

رابعًا- الأهمية الاقتصادية للغربيين فى مشروع الجزيرة:

كان للحجاج الغربيين الذين استقر بهم المقام فى منطقة الجزيرة بالسودان أهمية اقتصادية كبيرة للمشروعات الزراعية، خاصة مشروع قطن الجزيرة، كعمال وكمستأجرين على النحو التالى:

١- الغربيون كعمال:

إذا كان متوسط إنتاج أفارقة غرب أفريقيا مثل متوسط إنتاج السودانيين، فإن وجودهم كان يساوى تقريبًا ٨٢٤ مليون جنيها سنويًا بمعايير تلك الفترة. فهناك أكثر من دليل يبين أنهم كانوا أكثر إنتاجًا من جيرانهم السودانيين فى بعض المجالات، وفى نفس الوقت كانت لديهم الرغبة فى مباشرة بعض المهام الحيوية التى كان يزدريها السودانيون الشماليون(٤٦).

ولم يُسحب المهاجرون الغربيون كالعبيد مثل زنوج الولايات الجنوبية فى الولايات المتحدة الأمريكية، ولا تم استيرادهم بشكل منظم مثل هنود جنوب أفريقيا، إنما كانت حركتهم فى سياقها الطبيعى. فى بادئ الأمر نظر شعب الجزيرة للعمال الغربيين ببعض الاستياء، نظرًا لتفانيهم فى العمل واستحسان أغلب المفتشين والمستأجرين لهم. ففى تسع حالات من عشرة كان الجواب لأفضل عامل هو "العربى"، لكن قبل انتهاء العشرينيات من القرن العشرين كان الموقف قد تغير وفُضّل "الغربى" من قبل أغلب المفتشين والمستأجرين فى الجزيرة بالنسبة لكل زملائهم العمالة من الجنسيات الأخرى(٤٧).

ويعد العنصر الزراعى المقيم بين أفارقة غرب أفريقيا ذات أهمية اقتصادية للسودان؛ فقد أثنى كثيرٌ من مسئولى الحكومة السودانية على قوة تحملهم وقدرتهم على العمل الشاق. وفى هذا السياق، كتب حاكم ولاية الجزيرة (ولاية النيل الأزرق) عام ١٩٢٩، أن عملهم كان ضروريًا لنجاح مشروع قطن الجزيرة المروى

الذى بدأ عام ١٩٢٥. وبعد الحرب العالمية الثانية قدّم مفوض منطقة سنّجا Senga فى النيل الأزرق تقريرًا عن مقاطعته، صرّح فيه بأن أفارقة غرب أفريقيا والسودانيين من إقليم دارفور كانوا المزارعين الأكثر دأبًا فى ظل سلطته. وقد اعترف عرب شمالى السودان بهذا، حيث أشاروا لأفارقة غرب أفريقيا بأنهم "يعملون دائمًا". فبدون أفارقة غرب أفريقيا لم يكن لمشروع الجزيرة أن يعمل بنجاح خلال فترة الكساد(٤٨).

لقد ساهم مواطنو الجزيرة أنفسهم عمومًا بحوالى **نصف العمالة المؤقتة** المطلوبة تقريبا **للجنى أو الالتقاط**، وباقى متطلبات العمل تَشَارك فيه عرب النيل الأبيض(٤٩) والمهاجرون الغربيون. ويُعَدُ العاملُ الغربىُ نشيطًا لدرجة كبيرة مقارنةً بالعامل فى النيل الأزرق أو الأبيض. فالعربى عادة لا يستمر فى العمل فى الحقل بعد العاشرة أو الحادية عشرة صباحًا، بينما استمر الغربى فى الجنى أو الجمع حتى الثانية أو الثالثة بعد الظهر. وعندما تكون الأمطار أغزر من الطبيعى، تميل الأعشاب الضارة إلى النمو بكثافة وسرعة، وما لم يتم استئصالها بسرعة فقد تكون قاتلة لمحصول القطن. وفى مثل هذه الحالة كان العمل الشاق ضروريًا لصد نمو الأعشاب الضارة قبل فوات الأوان، وهنا يتميز الغربى بصفة عامة والنيجيرى بصفة خاصة؛ حيث استعمل أدواته المحلية بكفاءة عالية لإزالة الأعشاب – الكادانكا kadanka، وهى أداة أكثر فاعلية من المعزقة المحلية، المعروفة بـ malod. والكادانكا kadanka تحتاج إلى مهارة ووضع معين فى استعمالها، وهو الأمر الذى كان يجده العربى مملًا جدًا لتعلمه ومباشرته(٥٠).

وقد كان **العمل فى القنوات لإزالة الأعشاب** وظيفة أخرى كرهها العرب، بينما كان الغربيون مستعدين لها. فقد كانت تتطلب الانحناء لساعات والعمل تحت الشمس القائظة حتى الساعة الثانية بعد الظهر، طبقًا لتعليمات قسم الرى

السودانى. أضف إلى ذلك، نجح الغربى فى إظهار كفاءته الملحوظة، **فأصبح مُفضلاً فى المحالج** ginneries أيضا. لقد كانت قدرة وكفاءة العامل الغربى واضحة دائما، حيث كان أكثر عناية وصلابة فى مجال العمل الذى يُدعى إليه. هذه النوعيات فى الغربى ربما كانت تشحذ همته- بعيدًا عن أصول البنية الطبيعية الجيدة عموما وتقليد الغياب عن العمل بين العرب- لكسب مبلغًا مرضيًا من المال فى أقصر وقت ممكن؛ يمكنّه من المضى للحج، أو للمرور إلى الوطن، أو للزواج وبناء نفسه أو الاستقرار كمزارع مستقل فى مكان آخر من البلاد.

وحتى الفكرة التى تقع تحت هذه الحوافز كانت غائبة بشكل عملى عند العربى. فهو معروف دائما كشخص ليس لديه حماس على الإطلاق للعمل بأجر ما لم يكن فى حاجة ملحة للمال، وهو متلهف لكسب ذلك المال بأسهل طريقة حتى بالتضحية ببعض الربح الإضافى الذى يمكن أن يكسبه بمهمة مرهقة بعض الشئ عن الأخرى. وقد لخص كراوفورد ذلك فى تقريره سنة ١٩٢٩ بقوله "الغربى يعمل لأنه يريد المال، والعربى يعمل فقط عندما يكون جائعًا، وبالتالى فالجوع هو الذى يجذبه وليس الأجر الذى يكسبه"(٥١).

أضف إلى ذلك الحقيقة التى ربما تم استنتاجها وهى أن الناتج لكل رأس ولكل ساعة بين الغربيين عمومًا أعلى لدرجة كبيرة عنها بين العرب. وقد استطاع الغربيون تخفيض مستوى المعيشة بين كل من عمال الإقليم والمستأجرين المحليين. فبسبب مستوى معيشتهم المنخفضة أو الطبيعة المحدودة لمتطلباتهم، كانوا يقبلون أجورًا رخيصة لعملهم. وقد ساعد هذا فى النهاية على إنتاج محصول القطن بأسعار يمكن أن تنافس فى الأسواق العالمية(٥٢).

وقد بُذلت جهود مختلفة لفرض سيطرة أكثر على الهجرة الغربية فى إقليم الجزيرة وتوجيهها إلى الأجزاء الأكثر احتياجًا فى المشروع، وخاصة قرب طريق

السكة الحديد فى كردفان أو حال عودتهم من مكة(٥٣). هذه الممارسة كانت مستعملة لتقديم إمدادات إضافية من العمالة المطلوبة للالتقاط أو إزالة الأعشاب خصوصًا عندما يكون المحصول وفيرًا جدًا، أو أن تكون الأعشاب الضارة ثقيلة جدًا على العمالة المحلية للتعامل معها قبل التأخير(٥٤).

لقد تعلم العامل الغربى المؤقت western casual labour أن يكون متاحًا متى طُلب، وذلك من خلال الحضور الدائم فى منطقة المشروع. فقد استقرت الكثير من العائلات الغربية فى النهاية فى قرى المشروع أو فى أحياء منفصلة فى القرى والمدن، وكانوا جاهزين ليُستأجروا عند الحاجة إليهم. وتزامنت فترة جنى أو التقاط القطن فى الجزيرة (من يناير إلى أبريل) عمليًا مع موسم انتهاء محاصيل زراعة المطر فى وسط السودان. وبالتالى بحلول شهر ديسمبر وأوائل شهر يناير يكون قد تم الانتهاء من حصادها، لا سيما الذرة، فكانت القطارات تُقل العمال الغربيين من مناطق الفونج والقضارف على طول المنطقة الداخلية لسكة حديد كسلا–الأُبيّض، لتتدفق إلى الجزيرة. ولما كان من الصعب الحصول على إحصاء لهؤلاء المسافرين الغربيين، فإن الحقيقة المعروفة جيدًا أن موظفى سكك حديد السودان ومسافرى الدرجة الرابعة الآخرين كانوا يواجهون احتشادًا عظيمًا بشكل ثابت من المسافرين الغربيين المتجهين إلى الجزيرة فى تلك الفترة. وهؤلاء فى الغالب كانوا عمالاً مؤقتين متجولين، بالرغم من أن نسبة صغيرة منهم كانوا حائزين فعليًا للأرض المزروعة على الأمطار(٥٥).

وقبل أن يبدأ الفصل الممطر يكون جمع القطن وتنظيف الحقل اللاحق له قد انتهى، ومن ثمَّ خلال أواخر مارس–أبريل وأوائل يونيو تنخفض الحاجة إلى العمالة تدريجيًا ويعود المهاجرون إلى مناطق زراعة الأمطار لتلبية متطلبات العمل لتنظيف الأرض وبذر المحصول الجديد. فقد كانت الحاجة إليهم ملحة عمومًا طوال مدة الزراعة ويحضرون الحصاد فى نوفمبر وديسمبر وأوائل يناير،

وقبل الانتقال مرة أخرى إلى الجزيرة يحدث تدفق بسيط خلال فصل إزالة الأعشاب في الجزيرة، خصوصًا في مناطق التصريف السيئ في الكتل الواقعة باتجاه الجنوب حيث الأمطار الثقيلة والطلب على العامل الغربي ذو الأجور العالية(٥٦).

وبالتالي يعد الغربي اقتنائيًا أكثر بكثير من السودانيين الشماليين. وليُزيد دخله، كان يتحرك بين عدة أسواق للعمالة والمحاصيل النقدية. ويُعد العامل الغربي الأكثر كفاءة وقدرة على إنجاز الأعمال الموكلة إليه في الوقت المحدد، وعضوًا موثوقًا به في القوى العاملة الأفريقية للسودان. ومع ذلك بالنسبة للأعداد يقدم ربع الإمداد بعمل الأجر في الجزيرة، ويؤدى المهام التى لا يستطيع السودانيون عادة أو لا يحاولون القيام بها مثل تنظيف قنوات الرى، الذى كان يُعد ضروريًا لتقدم المشروع(٥٧).

وقد استخدمت سلطات مشروع الجزيرة عددًا كبيرًا من الغربيين للحلج وعمل القنوات؛ حيث بلغت ساعات عملهم ثمانى ساعات (٦ صباحًا–٢ مساءً) وأجورهم كانت تحددها التعليمات. ومع ذلك كان أغلب العمال المؤقتين المستخدمين من قبل قسم الرى يجيئون ويذهبون، بمتوسط أو معدل يومى يتراوح من ٢٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ موظفًا على مدار السنة في أجزاء مختلفة من الجزيرة. ومن ذلك العدد يُقدّر أن ٦٠% من هؤلاء كانوا من المناطق الاستوائية الفرنسية، ١٥% سودانيين غربيين، ١٠% نيجيريين، والباقى سودانيين آخرين. ومن أولئك المستخدمين سنويًا في محالج القطن في جوراشى Ghorashi وميرنجان Meringan (٢٤٠٠) حوالى ٩٠% غربيين. وقد كانت المحالج تعمل لشهور قليلة – أربعة أشهر – خلال وبعد فصل الالتقاط مباشرة، ثم تُغلق حتى الفصل التالى(٥٨).

لقد لعب الغربيون دورًا مهمًا ليس فقط فى إنتاج القطن فى الحقول، بل أيضا فى معالجته. فإجمالى القوة العاملة المستخدمة من قبل ثمانية مجالس محالج بالجزيرة بالسودان Sudan Gezira Board's ginneries، كانت تزيد على ٤٦٠٠ عامل، ٩٠% منهم كانوا غربيين. بل إن بعض العمال كانوا يعيشون بشكل دائم فى معسكرات يديرها مجلس الجزيرة Sudan Gezira Board، لكن معظمهم كان مطلوبًا فقط من يناير إلى يونيو، وكان يأتى من الأُبَيّض والقضارف. كان العديد من هؤلاء عمالة شبه ماهرة، وجاءوا سنة بعد أخرى، ونتيجة لذلك وجد البعض منهم أنه من المناسب الاستقرار فى منطقة الجزيرة وخاصة قرب واد مدنى Wad Medani. لقد استخدمت وزارة الرى فى السودان Sudan Irrigation Department ثلاثة آلاف عامل للمحافظة على القنوات فى الجزيرة الأصلية خالية من العشب الضار والغرين وفى حالة جيدة، ٧٠% منهم كانوا غربيين(٥٩).

ويمكن إيجاز أهمية الغربيين لمشروع الجزيرة على النحو التالى:

- كانوا يقدمون ٢٥% من القوى العاملة فى الحقول.
- ٩٠% من القوى العاملة المستخدمة فى المحالج.
- ٧٠% من عمالة صيانة القنوات.

أما أهميتهم بالنسبة لاقتصاد البلاد ككل فى هذا القطاع يبينها حقيقة أن ٥٥,٦% من صادرات قطن السودان سنة ١٩٦٢ جاءت من منطقة الجزيرة بما فيها امتداد مانيكال Manaqil Extension، والقطن نفسه قُدّر بحوالى ٦٥,٤% من صادرات البلاد من حيث القيمة.

٢- الغربيون كمستأجرين:

كان المهاجرون الغربيون يعيشون فى أوطانهم على شكل أو آخر من الزراعة المستقرة، وكان لديهم تقليد قديم من الزراعة، لذا لا عجب فى أن نجد حب الامتلاك لقطعة من الأرض يمكن أن يزرعها بمفرده أو مع عائلته مسألة فطرية فى المهاجر الغربى. وبعيدًا عن الاستقلال فى شغل الأرض والربح الذى قد يتمتع به، يبدو أن المهاجر الغربى لديه ميل طبيعى للحصول على أرض خاصة به متى كان ذلك ممكنًا. وكان أغلب العمال المتجولين فى الجزيرة يفضلون إلى حد بعيد قضاء السنة يزرعون أرضهم لينفقونها فى العمل المؤقت، بشرط ألا تتجاوز إقامتهم فى البقعة اثنا عشر شهرًا. ومع ذلك، منعت شروط امتلاك الأرض فى الجزيرة عمليًا الجانب الفطرى لهذا الميل، لأن الأرباح العالية والمستمرة للايجارات والحياة المريحة والمزدهرة نسبيًا للمستأجرين، جعلت الطموح لامتلاك الأرض فى المشروع شائع وعام بين كل سكان المنطقة(٦٠).

وحتى فى السنوات الأولى للمشروع، حصل الغربيون على الايجارات إما كنتيجة للسياسة المعتمدة من ناحية سلطات المشروع أو بسبب قلة السكان المحليين أو كلاهما معًا، واستمروا فى تقديم نسبة كبيرة من القوة العاملة، خصوصًا عند العمل الثقيل فى إزالة الأعشاب الضارة وجمع القطن(٦١).

وعند البحث عن أسباب ظهور الغربيين كمستأجرين فى الجزيرة، فإن الحقيقة الأساسية التى تؤخذ فى الاعتبار هو أنه بحلول ذلك الوقت (١٩٣٠-١٩٣٥) كان المستأجرون المحليون، خصوصًا أولئك القادمين من غرب منطقة المشروع، لم يكونوا قد تكيفوا مع الشكل الجديد للاقتصاد الزراعى إلى الدرجة التى تلتزم بالشكل الجديد وتنسى القديم. فانتظار الأرض لتُزرع بالدخن على المطر، استمر فى الجزيرة خارج منطقة المشروع. لذا عندما انخفضت أسعار القطن فى الأسواق

العالمية وانخفضت أرباح المستأجر فى المشروع بالتالى، كان من الشائع أن ترى المستأجرين العرب يتركون أملاكهم ويندفعون بعيدًا عن المشروع ليستأنفوا مهنهم القديمة فى الزراعة على المطر. وفى أثناء ذلك، كان لابد أن يستمر المشروع وزراعة القطن. ليس هذا فقط، بل شهدت نفس الفترة توسعًا آخر للمشروع، حيث افتُتحت أربع مناطق أخرى. ومع ذلك، كان المهاجرون خصوصًا من المناطق الاستوائية الفرنسية، مستعدين وراغبين فى شغل الأماكن الشاغرة للمستأجرين التى تجنبها مواطن الجزيرة. علاوة على ذلك، سيطرت المصالح الاقتصادية على سياسة سلطات المشروع فى ذلك الوقت أو بالأحرى المصالح التجارية فى المشروع(٦٢).

وقد اتجه السودانيون المحليون إلى ترك الإيجار عندما انخفضت أسعار القطن، وخصوصًا عندما كانت الأمطار جيدة بما يضمن محصول ذرة بيضاء معقول بدون جهد فى الرى. وعلى أية حال، لم يُغْرَى أفارقة غرب أفريقيا بالرحيل بسهولة بسبب اهتماماتهم الزراعية مقابل المصالح الرعوية الكبيرة للعديد من السودانيين الشماليين، وبدأوا بالسيطرة على الايجارات الشاغرة. أيضا فى أجزاء من مشروع الجزيرة ذات التربة الجدباء أو الفقيرة التى لم تجذب السكان المحليين إلى الايجار، مثل هذه المناطق وافق عليها الغربيون بسهولة(٦٣). وبالتالى قام الغربيون على تلك المناطق التى زهد فيها السودانيون.

فى عام ٣٥-١٩٣٦، عندما كانت ظروف الدخل قليلة، وبدء زراعة الأرض الجديدة فى دبيبة بلوك Debeiba Block بالتزامن مع موجة التهاب السحايا والطقس غير المناسب، امتلك كثير من الغربيين أرض المشروع. وفى الحقيقة، طوال الثلاثينيات من القرن الماضى كان للركود تأثيره والميل بين المستأجرين المحليين إلى ترك حصصهم والعودة إلى وسائلهم وطرقهم الأصلية للمعيشة أكثر نشاطًا، خصوصًا فى ظل ظروف التصريف السيئ للأرض أو التربة، الأمر الذى

كان يتطلب عمالة أكثر ومحصول أقل ربحًا. وبالتالى كان الغربى مفضلاً لدى سلطات المشروع(٦٤).

مثل هذه العوامل لعبت دورها فى تركز أفارقة غرب أفريقيا فى أجزاء معينة من مشروع الجزيرة مثل Milieq و Kabel Gidad Blocks، التى أُخضعت للرى أولاً فى عام ١٩٣١-١٩٣٢. ومنذ عام ١٩٤٥ مالت أعداد الايجارات الخاصة بالغربيين إلى الانخفاض ببطئ نتيجة لسياسة الحكومة الجديدة آنذاك فى عدم السماح للايجارات بالانتقال إلى الأجانب عند موت المستأجر. وقد كان السكان المحليون متلهفين للموافقة على الايجارات، بعد أن تعلموا الكثير من جيرانهم الغربيين. وعند منتصف القرن العشرين (١٩٥٢) كان حوالى ٣٠٠٠ من إجمالى ٧٣ ألف مستأجر، يُعدون من غرب أفريقيا(٦٥).

إن الكفاءة المتفوقة لأفارقة غرب أفريقيا كمستأجرين، مقارنة بالسودانيين الشماليين، توضحه نسبة ساعات العمل للمستأجِر وعائلته مقارنة بالعمالة المُستأجَرة. بالنسبة لكل الإيجارات، بصرف النظر عن الحجم، وُجد أنه لكل ساعة عملها المستأجر وعائلته فى إيجارات غير الغربيين، عملت العمالة المستأجرة ٥,١ ساعة، بينما كان فى إيجارات الغربيين ١-٣,٧ ساعة. وكانت الحصص أو الأنصبة ٥-١٠ أيكر acre من القطن هى الأكثر شيوعًا إلى حد بعيد، وبالنسبة لهذه يبرز الغربى الأفضل. نسبته كانت ١-٤ مقارنة بـ ١-٦,٢ ساعة فى حصص غير الغربيين. كان المستأجر السودانى الشمالى يفضل استخدام آخرين للقيام بالعمل إذا كان يمكن أن يتحمله، بينما كان المستاجر الغربى يتمنى زيادة أرباحه(٦٦).

وفى ظل الظروف الصعبة وغير المناسبة وطوال تلك السنوات، أظهر الغربيون فى الجزيرة مثل هذه النوعيات الجيدة كمستأجرين ومزارعين موثوق بهم باستعداد وكفاءة أعجبت السلطات الحكومية، خصوصًا مفتشو المشروع. وبالفعل

طورت سلطات المشروع موقفًا من الإحساس بالامتنان للغربيين، لأنهم وقفوا بجانبهم فى أوقات المشقة عندما مال الآخرون إلى تجنب العمل أو هربوا منه. وهكذا لفترة طويلة من الوقت، رحبت سلطات المشروع بشغل الغربيين للحصص فيه(٦٧).

لقد أثبت عمال غرب أفريقيا أنه لا غنى عنهم فى مشروع الجزيرة؛ فمن مسح عام ١٩٥٩ لظروف العمال هناك، وُجد أنه من معدل ١٣٢ ألف عامل مستَخدَم طوال الفترة الكلية لزراعة القطن من منتصف سبتمبر إلى منتصف مايو، كان أكثر من ٣٧ ألفًا من الغربيين. وفى فترة الذروة، من ٢٠٨ ألف مستَخدَم، كان ٥٧ ألفًا من الغربيين، وبالتالى كان المتوسط فى كلتا الحالتين ٢٨%(٦٨).

وفى امتداد ملكال الجديدة Manaqil Extension غرب الجزيرة، كان ١٣% من القوة العاملة غربيين. وكانت القيمة المضافة لعمالة غرب أفريقيا هى ثقتها. كان أفارقة غرب أفريقيا يخرجون دائمًا، ويعملون بجد ويميلون إلى البقاء حتى يتم حصاد المحصول بالكامل، بينما كان عامة الناس العرب متوقعة أقل بكثير. ولعل أفضل تقدير لقطاع غرب أفريقيا من القوة العاملة هو شعبيتهم لدى السودانيين الشماليين الذين كانوا يفضلونهم عن بنى جلدتهم. وكان من المعتاد أنه فى حين تنهى القوة العاملة السودانية الشمالية العمل قبل الثانية عشرة ظهرًا، فإن العامل الغربى كان يعمل حتى الثانية أو الثالثة عصرًا(٦٩).

خامسًا- توزيع الغربيين فى الجزيرة:

نُثرت الجزيرة بعدد هائل من القرى الغربية التى ظهرت بشكل تدريجى نتيجة لظروف امتلاك الأرض والعمالة المختلفة. وقد ساهم تشابه هذه الظروف فى كافة أنحاء الجزيرة عمومًا، فى الاتساق البارز الذى ميّز توزيع هذه القرى. ومع ذلك، كان يميل عددهم إلى النقصان بعض الشيء فى المناطق الغربية، ربما بسبب

البعد عن الطريق السريع الذى اعتاد المهاجرون الإتيان منه إلى الجزيرة، وللوفرة والكفاية الامداد بالعمالة الوطنية المجتذبة من عرب النيل الأبيض غير البعيد(٧٠).

كانت هذه المستوطنات مؤقتة، ولذلك عُرفت "بمعسكرات العمال" Labour CAMPS، وبالطبع لأن سكانها اشتغلوا كليًا تقريبًا فى العمل المؤقت، لذا اختفت بعض معسكرات الغربيين من موقعها. ويعتبر سكان الجزيرة موزعين بالتساوى تقريبًا فى كافة أنحاء المنطقة، وهذا التوزيع كان يشمل أغلبية نيجيرية من ٢٩٣٢٦ نسمة، ونسبة مماثلة تقريبًا من أفريقيا الاستوائية الفرنسية تُقدر بـ ٢٦٢٩٥ نسمة، ونسبة صغيرة جدًا من السودانيين الغربيين مجموعها ٢٩٧٧ نسمة. ومع ذلك يُتوقع بقوة أن العدد الحقيقي للسكان السودانيين الغربيين حُجب إلى حد كبير، لأن الاحصاء الذى نتجت منه هذه الأرقام أُجرى بصورة رئيسية على قاعدة القرية بدلاً من اعتبار الأفراد، لذلك كان هؤلاء الأفراد ملائمين للفقد فى هذا التصنيف(٧١).

علاوة على ذلك، كان يوجد فى مجموعة أو كتلة الحاج عبد الله Hag Abdullah Block أقل بعض الشيء من ثلث عددهم، والبقية موزعة أو متفرقة على شمال ووسط الجزيرة. ويبرز النيجيريون بشكل رئيسى فى وسط وجنوبى الجزيرة، بينما يسيطر الغربيون من المناطق الاستوائية الفرنسية على المجموعة الشمالية. وربما يُنسب هذا التمييز إلى عوامل مؤكدة؛ فيُحتمل أن مشاعر الوجود فى أرض أجنبية بين أناس أجانب – لا يتوقفون عن التصريح بتفوقهم – أكثر حدة بين النيجيريين عن المناطق الاستوائية الفرنسية، قد أبطأ انتشارهم شمالاً. كما يُحتمل أن مناخ شمال الجزيرة الأكثر جفافًا، مثل البيئة الأصلية للمهاجرين من المناطق الاستوائية الفرنسية عن النيجيريين، قد فرض بعض المراقبة على التقدم باتجاه الشمال وجعلهم يفضلون الاستقرار فى الجنوب(٧٢).

علاوة على ذلك، يُحتمل أن أخبار الأرض المستصلحة حديثًا ذات الفرص المختلفة قد وصلت المناطق الاستوائية الفرنسية بشكل أسرع، وكانت الاستجابة فورية عن حالة الآخرين، وبالتالى كانوا أكثر استعدادًا للإندفاع إلى الكتل الشمالية المفتوحة مؤخرًا نسبيًا يومئذ. وقد كانت القرى الغربية فى الجزيرة صغيرة عمومًا بشكل ملحوظ فى الحجم وفى عدد السكان، وتستحق أن تُسمى قرية صغيرة hamlet عن أن تُسمى قرى villages. والقرية الغربية لا تبدو مختلفة كثيرًا فى مظهرها عن جارتها المحلية، وهى أكثر ضغطًا وازدحامًا منها(٧٣).

الخاتمة

بينت الدراسة أن الاتصال لم ينقطع بين السودان والدول الواقعة غربه عن طريق الهجرات، كما كان للحج من غرب أفريقيا إلى مكة المكرمة أثره الواضح فى هجرة العديد من أهالى غرب أفريقيا واستقرارهم فى السودان، ربما بشكل دائم. وشكّل موقع السودان طريقًا مهمًا للحجاج المسافرين بريًا إلى مكة المكرمة من غرب أفريقيا.

كما أكدت الدراسة أن من العناصر الغربية فقيرة الحال من استهواها البقاء فى السودان والعمل فى المشروعات الزراعية وتناسى الغرض الأصلى وهو الحج، أو طاب له العيش بعد العودة من الحج فاستقر فى السودان، خاصة وقد وجدوا من السلطات الحاكمة كل تشجيع. وكان فى قيام المشروعات الزراعية فى السودان وحسن المعاملة التى وجدها المهاجرون ما أغرى فريقًا آخر فهاجر إلى السودان بغية العمل وجمع المال، ومن هؤلاء من استقر نهائيًا فى السودان فلم يعود إلى موطنه الأصلى.

وبينت الدراسة أيضا أن العنصر الزراعى الغربى كان ذو أهمية اقتصادية للسودان فى منطقة الجزيرة، كما كان عملهم ضروريًا لنجاح مشروع قطن الجزيرة المروى الذى بدأ عام ١٩٢٥، بل إن بعض المسئولين فى المشروع أشار إلى أنه بدون أفارقة غرب أفريقيا لم يكن لمشروع الجزيرة أن يعمل بنجاح خلال فترة الكساد الاقتصادى مطلع ثلاثينيات القرن العشرين.

كما أكدت الدراسة أن الغربيين لعبوا دورًا مهمًا ليس فقط فى إنتاج القطن فى الحقول، بل أيضا فى معالجته. كما سيطر الغربيون على الايجارات فى منطقة الجزيرة عندما انخفضت أسعار القطن فى الثلاثينيات من القرن الماضى، فى الوقت التى تركها السودانيون المحليون. كما قاموا على المناطق ذات التربة الجدباء والفقيرة فى بعض الأجزاء من مشروع الجزيرة التى زهد فيها السودانيون.

الملاحق

خريطة (٣)

تبين منطقة الجزيرة بالسودان

المصدر:

O'Brien, Jay: Op. Cit., p. 34.

خريطة (٤)

نسبة الغربيين من إجمالى سكان الجزيرة

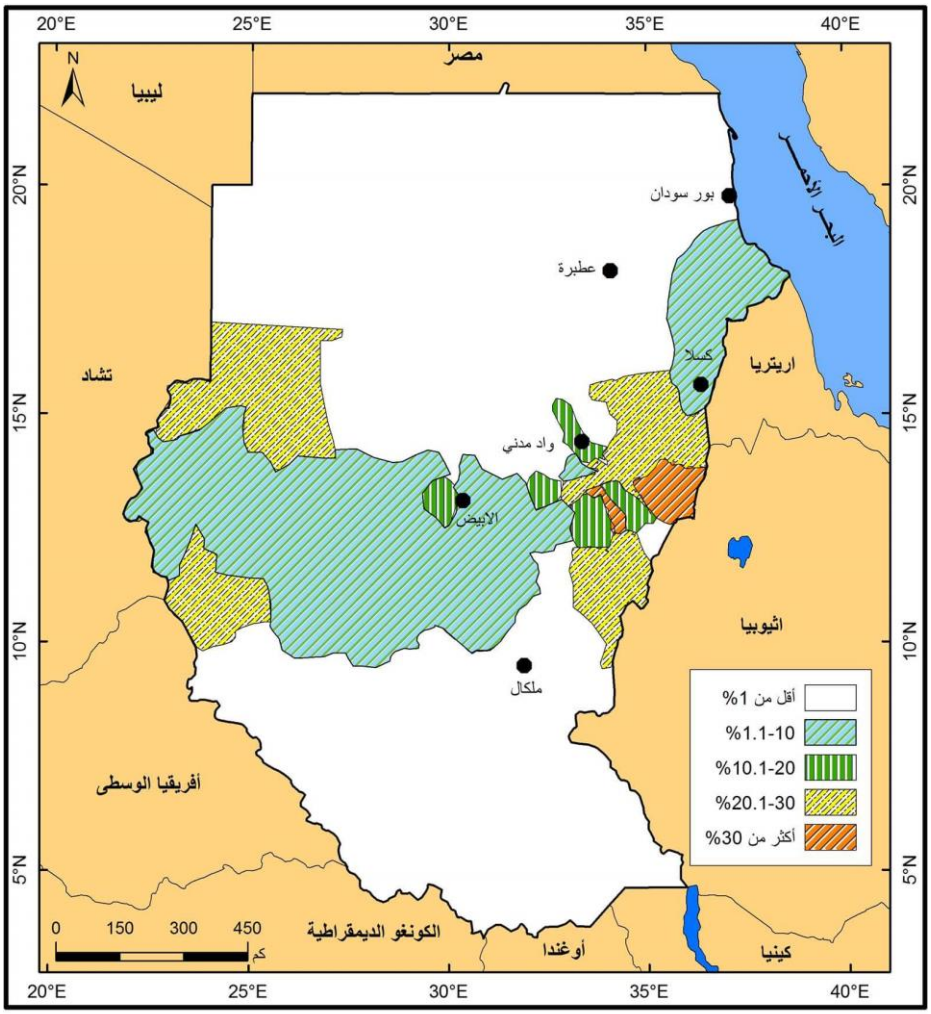

المصدر:

Davies, H. R. J.: Op. Cit., p. 224.

خريطة (٥)

توزيع الغربيين على طول الطريق الريفى إلى مكة المكرمة

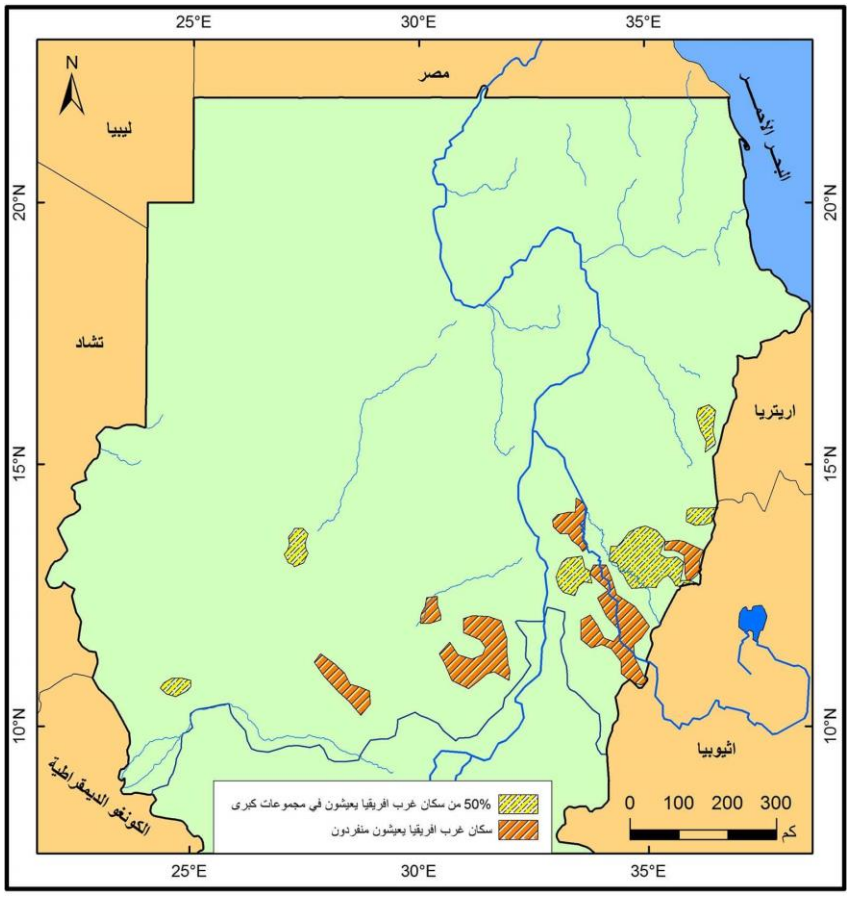

المصدر:

Davies, H. R. J.: Op. Cit., p. 226.

الهوامش والحواشي:

(١) Davies, H. R. J.: the West African in Economic Geography of Sudan, Geography, Vol. 49, No. 3, XXTH International Geographical Congress, July 1964, p. 222.

(٢) **الكانم والبَرْنُو:** يقع إقليم الكانم شرق بحيرة تشاد، ويقع إقليم بَرْنُو غربها؛ حيث تكونت السلطنة فى الجنوب الغربى للبحيرة، وأخذت سلطنة البَرْنُو فى التوسع نحو الشمال والشرق والغرب، وأما الحدود الشرقية فكانت تمتد حتى بلاد النوبة. فالإدريسى(ت ٥٦٠هـ/١١٦٥م) يذكر عند حديثه عن سكان نجيمى أنهم يجاورون النوبة من جهة الشرق وبينهم وبين النيل ثلاثة أيام. ويؤكد ابن سعيد(٦٧٣هـ/١٢٧٥م) ما ذكره الإدريسى حول الحدود الشرقية للسلطنة فيذكر أن بلاد الزغاوة تتصل بأرض النوبة، وأن هذه البلاد تتبع الكانم. وتمتد الحدود الغربية حتى نهر النيجر حيث ضمّت قسمًا من بلاد الهوسا فى بعض فترات قوة السلطنة. وبالتالى توسعت سلطنة البَرْنُو حتى صارت تسيطر على جميع الأراضى الواقعة إلى الغرب والشرق والشمال من شواطئ بحيرة تشاد، وأصبحت البحيرة نفسها تتوسط قلب السلطنة. وقد أهلها موقعها لأن تكون حلقة وصل بين منطقتى السودان الغربى والشرقى وبين مناطق الصحراء فى الشمال ومناطق الغابات الاستوائية فى الجنوب، فصارت بذلك ملتقى عدة طرق تربطها شرقًا بمصر وغربًا ببلاد المغرب. ويدخل أكثر بَرْنُو الآن ضمن جمهورية نيجيريا الاتحادية، بينما تدخل كانم ضمن جمهورية تشاد.

انظر: ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربى، الطبعة الأولى، المكتب التجارى للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠، ص ٩٤. ولمزيد من التفاصيل، انظر: انتصار جابر يونس: الحياة السياسية في سلطنة البَرْنُو خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين/ الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الدراسات الأفريقية من قسم التاريخ (تاريخ إسلامي)، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١٦، ص ص ٤-٦، إبراهيم برمة أحمد: المقاومة الوطنية فى مملكة كانم بَرْنُو ضد القوات الفرنسية فى الفترة ما بين ١٩٠٠-١٩٠٤، العدد ٦، مجلة البحوث العلمية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة الملك فيصل، تشاد، ٢٠١٨، ص ٥٢.

وحول موقع السلطنتين، **انظر:** خريطة (١)، ص ١٧٩.

(٣) **السودان الشرقى** هو أحد أقسام بلاد السودان الثلاثة: الشرقى والأوسط والغربى. والسودان الشرقى يمتد من البحر الأحمر شرقًا حتى حدود إقليم دارفور غربًا، ويضم الحوض الأعلى والأوسط لنهر النيل، وتحده الصحراء الكبرى شمالاً. وكان المسلمون يُطلقون على هذا القسم بين القرنين الرابع والسادس الهجريين/العاشر والثانى عشر الميلاديين اسم "بلاد الزنج"، إلا أن كلمة السودان شملته أيضا. **انظر:**

محمد بن عمر التونسى: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل محمود عساكر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٣٢، انتصار جابر يونس: المرجع السابق، ص ٢.

(٤) Hassoun, Islam Ahmed: Western Migration and Settlement in the Gezira, Sudan Notes and Records, Vol. 33, No. 1, June 1952, p. 61.
ولمزيد من التفاصيل حول الأدلة التى جمعها أركل Arkell، **انظر**:
Arkell, A. J.: More about Fung Origins, Sudan Notes and Records, XXVII, 1946, pp. 87-97.

(٥) Davies, H. R. J.: Op. Cit., p. 222.

(٦) **مملكة ودّاى:** هناك اختلاف بين الباحثين حول نشأتها؛ إذ يذهب البعض إلى أنها تأسست عام ١٦١١ بينما ذهب آخرون إلى أنها تأسست عام ١٦١٥ وامتدت إلى أن سقطت على يد الاستعمار عام ١٩٠٩. وهى عبارة عن منطقة سهلية تنحدر من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى، وقد ذكر التونسى أن مساحتها تساوى مسيرة ٣٠ يومًا طولاً و ٢٤ يومًا عرضًا. تحدها من الشرق دارفور، ومن الغرب مملكة باجرمى.
انظر: تجانى صابون محمد: مقاومة الممالك الاسلامية للغزو الفرنسى الفرنسى فى تشاد ١٩٠٠-١٩٤٧، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد بحوث ودراسات العالم الاسلامى، جامعة أمدرمان الاسلامية، السودان، ٢٠١٧، ص ٩٢. ولمزيد من التفاصيل، انظر: ابراهيم على عبد الله: الدعوة الاسلامية ودورها فى توثيق العلاقات بين مملكتى دارفور وودّاى الاسلاميتين ١٦٠٠-١٩٠٠، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية، أم درمان، السودان، ٢٠٠٦، ص ١٤٤ وما بعدها.

(٧) Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 61.

(٨) Davies, H. R. J.: Op. Cit., p. 223.

(٩) محمد محمود السريانى: رحلة الحج البرية من أقطار غربى أفريقيا ووسطها إلى مكة المكرمة، مجلة الدّارة، العددان ١، ٢، ١٤٢١هـ، ص ٢١٢.

(١٠) يوسف فضل حسن: بعض مظاهر التواصل الإفريقى، العدد ٣٥، مجلة دراسات إفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، ٢٠٠٦، ص ٢٣.

(١١) Birks, J. S.: Overland Pilgrimage from West Africa to Mecca: An Achronism or Fashion? Geography, Vol. 62, No. 3, July 1977, p. 215.

(١٢) بطل شعبان محمد غريانى: دور الرقيق فى رحلات الحج الملكية فى السودان الغربى عصر مملكتى مالى وصُنّغى، العدد التاسع، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، كلية الآداب، جامعة بنى سويف، أكتوبر ٢٠٢٠، ص ١٤٦، ١٤٩، ١٥٦.

(١٣) لمزيد من التفاصيل حول دروب الحج ومسالكه عبر الصحراء الكبرى (الطريق الشمالى)، **انظر**:
سليمان عبد الغنى مالكى وسعد الدين أونال: تاريخ الحج من خلال الحجاج المعمرين، دراسة تاريخية ميدانية، مركز أبحاث الحج، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (د.ت)، ص ص ٦٧-٧١، محمد محمود السريانى: مرجع سابق، ص ص ٢٠٧-٢١١.

(١٤) Birks, J. S.: Op. Cit., p. 215.

(١٥) West African Pilgrims to Mecca, Geographical Review, Vol. 67, No. 4, Oct., 1977, p. 483.

(١٦) اصطلح أهل السودان على تسمية هذه الطريقة فى السفر الراجل (أى سيرًا على الأقدام) "تكرنة"، فيقولون فلان مُتَكْرن أى جاء يمشى راجلاً.

(١٧) كمال محمد عبيد: العلاقات السودانية التشادية وأثرها فى نشر الثقافة العربية الاسلامية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، ٢٠٠١، ص ١٢٦،

Barbour, K. M.: Population Shifts and Changes in Sudan since 1898, Middle Eastern Studies, Vol. 2, No. 2, 1966, p. 112,

(١٨) McLoughlin, P. F. M.: Labour Market Conditions and Wages in the Three Towns 1900-1950, Sudan Notes and Records, Vol. 51, 1970, p. 110.

(١٩) عنايات الطحاوى: إقليم الخرطوم، دراسة جغرافية لأهم الظاهرات الطبيعية والبشرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، (د.ت)، ص ١٨٤.

(٢٠) Davies, H. R. J.: Op. Cit., p. 224.

(٢١) Ibid.

لم يكن الحج هو العامل الوحيد الذى أدى إلى هجرة الغربيين شرقًا، فقد أدى الاضطراب السياسى الناجم عن الاستعمار الأوروبى لمنطقة غرب أفريقيا إلى الهجرة باتجاه الشرق. لمزيد من التفاصيل انظر:

Davies, H. R. J.: Op. Cit., p. 224.

(٢٢) **الغربيون**: Westerners لفظ مستعمل فى السودان للدلالة على العناصر الوافدة من وسط وغرب الإقليم السودانى بمعناه الجغرافى (إقليم السفانا بمعناه الواسع فى أفريقيا)، ومن ثمّ فهو لا يدل على سلالة بعينها. وقد ظهرت هذه الهجرات بشكل واضح منذ أوائل القرن العشرين وقُدّرت نسبة التدفق السنوى بين ١٠-٢٠ ألف سنويًا، تختلف بطبيعة الحال باختلاف الظروف الطبيعية والبشرية التى تسود الجهتين: المهاجر منها والمهاجر إليها. انظر: محمد عبد الغنى سعودى: السودان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٢٠٦.

(٢٣) محمد محمود السريانى: مرجع سابق، ص ٢١٤.

(٢٤) محمد عبد الغنى سعودى: المرجع السابق، ص ٢٠٦.

يُشكل **مشروع الجزيرة** جزءًا من إقليم الجزيرة، والذى يشغل المنطقة المثلثة بين النيل الأبيض والأزرق جنوب ملتقاهم فى الخرطوم. ومنطقة الجزيرة تقع أيضا على طريق الحجاج البرى من غرب أفريقيا إلى مكة المكرمة. وقد ربطت حركة البدو، والتجار، والحجاج، الجزيرة بمنطقة أوسع وكانت تقاطع طرق متعددة الأعراق. وتضاريسها مستوية تقريبًا ومميزة بانحدار خفيف من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب، والذى يُعد مهمًا لجاذبية نظام الرى.

وتعد كمية المطر ضئيلة ومتناقصة، وهناك ندرة فى الثروة المعدنية والنباتية، وتربتها من النوع الطينى القلوى المناسب لزراعة القطن. هذا المشروع الهائل بدأته بريطانيا، التى كانت تحكم السودان بالاشتراك مع مصر، فى عام ١٩١٣ لإمداد الطواحين البريطانية بالقطن. وقد بدأ المشروع العمل بعد بناء سد سنّار عام ١٩٢٥، وصُمم لخدمة منطقة من ١٠٠ ألف هكتار. وبعد توسعه فى الفترة ١٩٥٨-١٩٦٢، أصبح يغطى حوالى ٧٠٠ ألف هكتار من الأرض. وفى عام ١٩٦٢ تم إضافة أرض زراعية جديدة (امتداد المناقل) لتصبح المساحة الكلية للمشروع ٢,٢ مليون فدان. ويُشكل المشروع ١٢% من مجموع المنطقة المزروعة فى السودان، وينتج ٧٥% من قطن البلاد، ومن ٣٠-٤٠% من الانتاج العالمى من القطن. ويعتبر مشروع الجزيرة وامتداد المناقل أكبر مشروع زراعى مروى فى أفريقيا، ويقطنه حوالى ٣,٥ مليون نسمة. **انظر:**

على الحسن محمد نور زروق، محمد عقيد الماحى: دور مشروع الجزيرة فى تنمية الاقتصاد السودانى خلال الفترة(١٩٧١-٢٠١٥)، مجلة جامعة بخْت الرضا العلمية، العدد ٢٩، سبتمبر ٢٠١٩، ص ٤٥.

Misra, H. N.: Rural-urban Relations in Sudan: A Case Study of the Gezira Scheme, Ekisties, Vol. 50, No. 300, Urbanization and Social Change in the Arab World, 1983, p. 165, Bernal, Victoria: Colonial Moral Economy and Discipline of Development: the Gezira Scheme and "Modern" Sudan, Cultural Anthropology, Vol. 12, No. 4, 1997, p. 454.

انظر خريطة (٣) بالملاحق، والتى توضح منطقة الجزيرة بالسودان، ص ٢٠٥.

و ولمزيد من التفاصيل حول مشروع الجزيرة، **انظر:**

Beshir, M. O.: the Gezira Scheme: An Experiment in Socio-Economic Development, Civilizations, Vol. 11, No. 1, 1961, pp. 63-67, Gaitskell, Arthur: the Gezira Scheme, Journal of the Royal Society of Arts, Vol. 104, No. 4966, 1955, pp. 67-86.

(٢٥) Shair, I. M. and Karan, P. P.: Geography of Islamic Pilgrimage, Geojournal, Vol. 3, No. 6, Natural Resources Development in the Tropics, 1979, p. 600.

(٢٦) Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 65.

(٢٧) McLoughlin, Peter F. M.: the Sudan's Gezira Scheme: An Economic Profile, Social and Economic Studies, Vol. 12, No. 2, 1963, p. 184.

(٢٨) McLoughlin, P. F. M.: Labour Market Conditions, Op. Cit., p. 106.

(٢٩) Duffield, Mark: Change among West African Settlers in Northern Sudan, Review of African Political Economy, No. 26, Sudan, 1983, p. 47.

(٣٠) O'Brien, Jay: the Formation of the Agricultural Labour Force in Sudan, Review of African Political Economy, No. 26, Sudan, Jul., 1983, p. 17.

وربما تكون السلطات الاستعمارية الانجليزية قد دأبت، منذ كان لها النفوذ الأكبر فى السودان، على جلب الأيدى العاملة من غرب السودان بدلاً من استخدام السودانيين، لإبعاد المعرفة والتوجيه المهنى عن

السودانيين من جهة، وإضعاف وعيهم الاقتصادى والقومى من جهة أخرى. **انظر:** عنايات الطحاوى: مرجع سابق، ص ١٨٤.

(٣١) محمد عبد الغنى سعودى: مرجع سابق، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(٣٢) نفسه، ص ٢٠٧.

(٣٣) Davies, H. R. J.: Op. Cit., p. 225.

(٣٤) Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 66.

(٣٥) Ibid.

(٣٦) McLoughlin, Peter F. M.: the Sudan's Gezira Scheme: Op. Cit., p. 185.

(٣٧) Holy, Ladislav: Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 59, No. 3, 1996, p. 617.

(٣٨) Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 67.

(٣٩) محمد عبد الغنى سعودى: المرجع السابق، ص ٢٠٥.

انظر خريطة (٥) بالملاحق ص ٢٠٧، والتى توضح توزيع الغربيين على طول الطريق إلى مكة المكرمة.

(٤٠) Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 62.

(٤١) محمد محمود السريانى: مرجع سابق، ص ٢١٧.

(٤٢) Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 83, 84.

(٤٣) Ibid, p. 84.

(٤٤) Ibid, p. 85.

(٤٥) انظر خريطة (٤) بالملاحق ص ٢٠٦، والتى توضح نسبة الغربيين من إجمالى سكان الجزيرة.

(٤٦) Davies, H. R. J.: Op. Cit., p. 226.

(٤٧) Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 86.

(٤٨) Davies, H. R. J.: Op. Cit., p. 227.

(٤٩) "**عرب النيل الأبيض**": المقصود بهم مجموعة صغيرة من القبائل التى تعيش بشكل رئيسى فى المنطقة بين النيل الأبيض والحدود الغربية للمشروع. وهؤلاء الناس كانوا يعيشون حياة شبه بدوية.

(٥٠) Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 87.

(٥١) شريف محمد شريف: أرض الجزيرة بالسودان، دراسة اقتصادية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٥٠.

(٥٢) Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 88.

(٥٣) يعتبر وقت الحج ثابت طبقًا للتقويم الهجرى، ويتفاوت بعض الشئ من سنة إلى أخرى طبقًا للسنة القبطية. وبالتالى بينما كان الحجاج يعودون لبضع سنوات من مكة المكرمة أثناء فصل الالتقاط، ووصلوا فى سنوات أخرى أوائل شهر أكتوبر، بمعنى أنهم وصلوا مبكرًا ثلاثة شهور.

(٥٤) Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 90.

(٥٥) شريف محمد شريف: مرجع سابق، ص ١٥٠.

(٥٦) Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 92.

(٥٧) McLoughlin, Peter F. M.: the Sudan's Gezira Scheme, Op. Cit., p. 186.

(٥٨) Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 94.

(٥٩) Davies, H. R. J.: Op. Cit., p. 228-229.

(٦٠) Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 96.

(٦١) Barbour, K. M.: Op. Cit., p. 112.

(٦٢) Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 98.

(٦٣) Davies, H. R. J.: Op. Cit., p. 227.

(٦٤) Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 98.

(٦٥) Davies, H. R. J.: Op. Cit., p. 228.

(٦٦) Ibid.

(٦٧) Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 100.

(٦٨) Davies, H. R. J.: Op. Cit., p. 228.

(٦٩) Ibid.

(٧٠) Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 103.

(٧١) Ibid.

(٧٢) Ibid, p. 104.

(٧٣) Duffield, Mark: Op. Cit., p. 49, Hassoun, Islam Ahmed: Op. Cit., p. 104, 105.